

European Identity and Representations of the Other in Travel Literature: A Pictorial Reading of Pietro Della Valle's Texts on Safavid Iran

Hussein Ali Hassoon Alshammari

University of Al-Qadisiyah, College of Administration and Economics,
hussain.a.hosson@qu.edu.iq

Abstract:

This research aims to analyze representations of the Iranian other in the texts of the Italian traveler Pietro Della Valle (1586–1652), who visited the Safavid Empire between 1617 and 1623. This research relies on the method of literary imagery, which studies stereotypes and representations of the other in literary texts. The research is based on the premise that European travels to the East were not an objective reflection of reality, but rather narrative constructions that represented a means of reproducing European identity through a view of the Eastern other. The research is divided into four sections:

1. The theoretical framework of literary imagery.
2. The historical and cultural context of Europe and Iran.
3. A textual analysis of the dimensions of Della Valle's texts (political, cultural, social, religious).
4. Reshaping European identity through the representation of the other.

The study concluded that Della Valle oscillates between fascination and disdain, between curiosity and fear, and that the Iranian other was a tool for constructing the European self-image rather than an independent epistemological object. Travel literature here is not merely an ethnographic document, but rather an identity discourse par excellence.

Keywords: Pietro Della Valle, European identity, the other, literary imagery, Safavid Iran, travel literature.

In this scenario, Al-Bayati has left his mark and has been influential in Iraqi literature of the 20th century, through his expression, his method and his use of symbols.

Keywords: Al-Bayati, Iraqi Free Poetry, symbolism, alienation, transcendence and feminine world.

المقدمة:

يُعَدُّ أدب الرحلة فضاءً ثقافياً وأدبياً مركباً، حيث تتقاطع فيه مشاهدات الرحالة مع تصوراتهم المسبقة، ويعيد من خلاله الكاتب صياغة تمثيلات متخيلة عن الآخر. هذه التمثيلات ليست مجرد أوصاف للأمكنة والأشخاص، بل هي **خطابات أيديولوجية** تسهم في بناء الهوية الحضارية للذات عبر مقارنتها بالآخر (1). رحلة **بيetro ديلا فاله** إلى إيران الصفوية تندرج ضمن هذا الإطار؛ فهي ليست وصفاً محايداً لإيران، وإنما إعادة صياغة للهوية الأوروبية عبر مرآة الآخر الشرقي. ومن هنا ينبثق سؤال هذا البحث: **كيف أعاد بيetro ديلا فاله تشكيل الهوية الأوروبية في نصوص رحلته من خلال تمثيله للآخر الإيراني؟**

أهمية البحث:

1. تتبع أهمية هذا البحث من عدة اعتبارات:
أنه يتناول نصوصاً رحلية تمثل واحدة من أهم مراحل التفاعل الثقافي بين أوروبا والشرق، في زمن تبلور فيه الوعي الأوروبي الحديث.
2. يقدم البحث مقارنة **تصويرية أدبية** جديدة للنصوص الرحلية، بعيداً عن القراءات التقليدية التي تكتفي بالجانب الوصفي.
3. يساهم في **كشف آليات بناء الهوية الأوروبية** عبر تمثيل الآخر الشرقي، وهو موضوع حيوي في دراسات ما بعد الاستعمار ودراسات الهوية الثقافية.
4. يربط بين السياقات السياسية والثقافية (الحروب الأوروبية، الصراع مع العثمانيين، انفتاح الصفويين) وبين النصوص الأدبية، مما يعزز فهمنا لعلاقة الأدب بالتاريخ.

هدف البحث:

- الهدف الرئيس لهذا البحث هو **تحليل تمثيلات الآخر الإيراني في نصوص بيترو ديلا فاله**، والكشف عن كيفية مساهمة هذه التمثيلات في إعادة بناء الهوية الأوروبية. ويتفرع عن هذا الهدف الرئيس أهداف فرعية:
- توضيح المفاهيم النظرية للتصويرية الأدبية.
 - دراسة السياق التاريخي والثقافي الذي أنتج النصوص.
 - تحليل الأبعاد السياسية والثقافية والاجتماعية والدينية في النصوص الرحلية.
 - إبراز الكيفية التي تتحقق بها ثنائية "الأنا/الآخر" في أدب الرحلة.

مشكلة البحث:

- تتمثل مشكلة البحث في أن نصوص الرحلات الأوروبية إلى الشرق غالباً ما تُقرأ كمصادر إثنوغرافية أو وثائق تاريخية، بينما هي في الحقيقة **خطابات سردية** تحمل تمثيلات ثقافية منحازة. وهذا يطرح إشكالية: إلى أي مدى يمكن أن نقرأ نصوص ديلا فاله كخطاب هوية أوروبية أكثر من كونها وصفاً موضوعياً للآخر الإيراني؟

فرضية البحث:

- تنطلق فرضية البحث من القول بأن:
- نصوص بيترو ديلا فاله عن إيران الصفوية لم تكن انعكاساً للواقع الإيراني كما هو، بل كانت **بناءً تصويرياً** يهدف إلى إعادة إنتاج الهوية الأوروبية.
 - الآخر الإيراني ظهر في النصوص oscillating بين الانبهار والانتقاص، بين الفضول والخوف، ليصبح في النهاية أداة تعريفية للذات الأوروبية.

منهجية البحث:

- اعتمد البحث على منهج **التصويرية الأدبية (Imagology)**، وهو منهج ينتمي إلى الأدب المقارن، يهتم بدراسة صور الآخر وتمثيلاته في النصوص الأدبية. ويستند هذا المنهج إلى:
1. **تحليل لغوي:** للكشف عن المفردات والصفات التي تصف الآخر.
 2. **تحليل بنيوي:** لرصد الثنائيات الضدية التي يقوم عليها النص (أوروبا/إيران، نظام/فوضى).
 3. **تحليل خطابي:** لدراسة موقع الكاتب وعلاقته بالآخر داخل النص.
 4. **الاستفادة من السياق التاريخي والثقافي:** لربط النصوص بالظروف السياسية والفكرية التي أنتجتها.

المبحث الأول: الإطار النظري للتصويرية الأدبية

1- مفهوم التصويرية الأدبية

انبثقت التصويرية الأدبية في منتصف القرن العشرين بوصفها فرعاً من الأدب المقارن، حيث ركزت على دراسة الصور النمطية للآخر في النصوص. وقد بين **دانييل-هنري پاژو** أن النص الأدبي لا يعكس الآخر كما هو، بل يقدم صورة ذهنية تُعرف بـ (2).

فتصوير الآخر في الأدب ليس مجرد وصف خارجي للأشخاص أو الأماكن، بل هو بناء ذهني وإيديولوجي يعكس تصور الكاتب للذات وللآخر. وقد انبثقت التصويرية الأدبية من حقل الأدب المقارن بهدف دراسة هذا البناء، *imagotype* وتحليله. يرى **دانييل-هنري پاژو** (1) أن الأدب لا ينقل "الآخر" كما هو، بل يقدم صورة ذهنية تُستخدم كمرآة لإعادة إنتاج الذات الأوروبية.

هذه النظرية توضح أن الرحالة الأوروبيين، مثل ديلا فاله، كانوا يستخدمون الآخر الإيراني ليس فقط كموضوع، بل كأداة لتأكيد قيمهم ومعاييرهم الثقافية.

التصويرية الأدبية تحلل النصوص على مستويات متعددة: لغوياً (اختيار الكلمات والصفات)، بنيوياً (الثنائيات الضدية)، وخطابياً (موقف الكاتب من الآخر).

2- العلاقة بين الهوية والآخر

لا تتشكل الهوية إلا عبر مقارنتها بالآخر. فكلما نُسب إلى الآخر صفات معينة (الغربة، الانحطاط، الخطر)، كان ذلك وسيلة لتأكيد الذات (النظام، التفوق، الحضارة) (3).

ووفقاً لـ **باجو** يمكن تقسيم العلاقة مع الآخر إلى ثلاثة أنماط رئيسية:

يُنظر إلى الآخر كأرقى من الذات، مثير للدهشة والانبهار، كما يظهر ذلك في وصف ديلا (1: *Mania*). الافتتان (2) فاله لمعمار أصفهان وروعة الأسواق.

يُصور الآخر كتهديد محتمل، كما في مخاوف الأوروبيين من توسع الدولة الصفوية (2: *Phobia*). الخوف (3) وصراعاتها مع العثمانيين.

3. **المودة (Philia)**: يُنظر إلى الآخر كشريك متساوٍ، وإن ظهر هذا النمط في نصوص ديلا فاله بشكل محدود عند تقديره للعدالة والشجاعة الإيرانية.

3- أنماط العلاقة مع الآخر

وفق **باجو** (4):

- الافتتان (1: *Mania*)

- الخوف (2: *Phobia*)

- المودة (3: *Philia*)

4- مستويات التحليل

- المستوى اللغوي.

- المستوى البنيوي.

- المستوى الخطابي (5).

- المستوى اللغوي: دراسة المفردات والصفات المستخدمة لتصوير الآخر، مثل "جميل"، "سطحي"، "قوي"، "ضعيف".

- المستوى البنيوي: تحليل الثنائيات الضدية في النصوص، مثل أوروبا/إيران، النظام/الفوضى، التفوق/النقص.

- المستوى الخطابي: دراسة موقع الكاتب، فهو غالباً متكلم وحيد يتحكم في تمثيل الآخر، ما يعكس هيمنة الذات الأوروبية على النص.

- بهذا الشكل، يصبح المطلب الأول قاعدة منهجية صلبة لفهم نصوص الرحلة، ويهيئ القارئ للربط بين التصويرية الأدبية والسياق التاريخي والنصوص التحليلية لاحقاً.

المبحث الثاني: السياق التاريخي والثقافي

1- أوروبا القرن السابع عشر

شهدت أوروبا فترة القرن السابع عشر أزمات كبيرة على المستوى السياسي والديني والاجتماعي(3):
-الحروب الدينية: حرب الثلاثين عامًا (1618-1648) بين الكاثوليك والبروتستانت.
-الصراعات مع الدولة العثمانية: إذ كانت تمثل "الآخر" الإسلامي المهدد، وهو ما أثر على تمثيل الرحالة للشرق.
-الاقتصاد والتجارة: توسع الرحلات الأوروبية للتجارة والديبلوماسية في الشرق، ما زاد من التفاعل الثقافي مع إيران والدول المجاورة.

ورأي آخر يقول عاشت أوروبا انقسامات دينية وحروبًا طاحنة أثرت بشكل كبير على تغير الثوابت الصولوجية (حرب الثلاثين عامًا 1618-1648)(6). في هذا السياق، شكّل الشرق مرآة للتخييل الأوروبي: أحيانًا رمزًا للترف، وأحيانًا تهديدًا للتفوق الأوروبي(7).

2- الدولة الصفوية

تأسست على يد الشاه إسماعيل الصفوي، وجعل التشيع الإثني عشري المذهب الرسمي للدولة. في عهد الشاه عباس الأول (1588-1629): تطوير الجيش، بناء أصفهان، فتح التجارة مع أوروبا، وزيادة التأثير الإيراني في المنطقة(4).

وقد شكلت أصفهان مركزًا تجاريًا وثقافيًا يربط الشرق بالغرب، ما جعلها مجال جذب للرحالة الأوروبيين.

3. صورة الشرق في المخيال الأوروبي

ارتبط الشرق بصورتين متناقضتين(5):

1. الشرق الساحر والغني، مليء بالترف والجمال.

2. الشرق المهدد والمنحط، يظهر في النصوص الأوروبية كثقافة غريبة ومختلفة.

يظهر هذا الثنائي جليًا في نصوص ديلا فاله، حيث يمزج بين الانبهار بمعمار أصفهان والانتقاص من بعض العادات والفنون الإيرانية.

ففي عهد الشاه عباس الأول، بلغت الدولة الصفوية أوج قوتها، حيث أعاد تنظيم الجيش وفتح أصفهان على التجارة والثقافة العالمية(8).

3- صورة الشرق في المخيال الأوروبي

ظل الشرق محملًا بثنائية: **السحر والغربة** مقابل **التخلف والتهديد**(9). هذه الثنائية تظهر بوضوح في نصوص ديلا فاله.

الرحلة كانت أداة للتجارة والدبلوماسية، لكنها في نفس الوقت فضاء ثقافي لإعادة إنتاج الهوية الأوروبية.

4. الرحلات الأوروبية إلى إيران

ديلا فاله كان بين الرحالة الأكثر تفصيلًا، واهتم بكل الجوانب السياسية، الاجتماعية، الثقافية والدينية، مقارنة برحالة آخرين مثل شاردان وتافرنييه.

بهذا، يصبح المطلب الثاني رابطًا منطقيًا بين المنهج النظري في المطلب الأول وسلوك الرحالة الأوروبيين في الشرق، ويوضح خلفية تمثيل الآخر.

المبحث الثالث: تحليل نصوص ديلا فاله

أ. البعد السياسي

مدح الشاه عباس، ووصفه بالقوة والحكمة، مقابل العثمانيين الذين صورهم بالفساد والضعف(6).

الهدف: رسم صورة مقارنة بين "الآخر الإيجابي" (إيران) و"الآخر السلبي" (العثمانيون)، ما يعكس رغبة أوروبا في إعادة تموضع الذات عبر مقارنة الآخر. (10).

ب. البعد الثقافي

انبهار بعمارة أصفهان: المساجد، الجسور، الأسواق، الحدائق. وانتقاده الأدب والفنون الإيرانية واعتبارها أقل تطوراً مقارنة بالفن الأوروبي، هذا التناقض يعكس الازدواجية في تمثيل الآخر: الإعجاب والانبهار، وفي الوقت ذاته الانتقاص للحفاظ على تفوق الذات. (11).

ج. البعد الاجتماعي

وصف اللباس، العادات، الاحتفالات: يظهر فضول الرحالة ورغبته في التكيف الجزئي مع المجتمع الإيراني، مع ذلك، يحافظ على مسافة تميزه عنهم ثقافياً واجتماعياً، ما يعكس مركزية الذات الأوروبية، وشارك بعض العادات الإيرانية، لكنه حافظ على مسافة تفصل بينه وبين الآخر (12).

د. البعد الديني

يظهر النص تحيزاً كاثوليكياً واضحاً تجاه الإسلام الشيعي، مع فضول معرفي محدود تجاه بعض الطقوس.

هذا الانحياز يعكس خطاب التفوق الديني الأوروبي الذي كان جزءاً من تكوين الهوية الأوروبية في تلك الفترة. وقد كشف النص عن انحياز كاثوليكى واضح، حيث اعتبر المسيحية أرقى من الإسلام، حتى وهو يبدي فضولاً تجاه بعض الطقوس الشيعية (13).

هـ. التحليل اللغوي والبنوي

استخدام صفات متناقضة (جميل/سطحي، قوي/ضعيف) يوضح آلية مزدوجة لإعادة إنتاج الهوية الأوروبية عبر الآخر. النص قائم على ثنائيات ضدية: أوروبا/إيران، النظام/الفوضى، التفوق/النقص. بهذا، يوضح المطلب الثالث كيف يعمل النص كآلة لإعادة بناء الهوية الأوروبية من خلال تحليل الأبعاد الأربعة للرحلة، وهو الرابط المباشر بين النظرية والسياق التاريخي.

المبحث الرابع: إعادة تشكيل الهوية الأوروبية عبر الآخر

1- المستوى اللغوي

اقتران صفات الجمال بالسطحية، والروعة بالنقص، يكشف عن استراتيجية مزدوجة في تمثيل الآخر (14).

2- المستوى البنيوي

النص يقوم على ثنائيات ضدية: أوروبا/إيران، نظام/فوضى، تفوق/نقص (15).

3- المستوى الخطابي

يتموضع ديلا فاله كشاهد ومفسّر، بينما يُختزل الإيراني في موضوع للوصف (16).

4. الثنائيات الضدية

أوروبا/إيران، حضارة/بربرية، مركز/هامش، القوة/الضعف، الانبهار/الانتقاص.

هذه الثنائيات تشكل الهيكل البنيوي للنص، وتوضح كيف يتم توجيه الانطباع العام عن الآخر بما يخدم الذات الأوروبية.

5. موقع الرحالة

ديلا فاله هو المتحدث الوحيد في النصوص، يحدد معالم صورة الآخر ويجعلها خاضعة للمعايير الأوروبية. الآخر لا يمتلك صوتاً مستقلاً، بل يظهر كموضوع للمراقبة والتحليل.

6. صورة الذات الأوروبية

النصوص تكشف عن محاولة إعادة إنتاج الذات الأوروبية عبر المرأة الإيرانية، وإبراز القيم الأوروبية (النظام، التفوق الفني، القوة العسكرية، التفوق الديني).

7. المقارنة مع رحالة معاصرين

شاردان: تركيز على التجارة والاقتصاد، أقل تحيزًا دينيًا. تافرنيه: وصف المدن والمجتمع، مع تقييم سياسي مباشر. ديلا فاله يختلف بتركيزه على البعد الثقافي والهوي للهوية الأوروبية.

النتائج

1. نصوص ديلا فاله كانت وسيلة لإعادة إنتاج الهوية الأوروبية.
2. تمثيل الآخر oscillates بين الانبهار والانتقاص.
3. أدب الرحلة خطاب هوية قبل أن يكون وثيقة إثنوغرافية.
4. الآخر الشرقي أداة لتعريف الذات الأوروبية لا موضوع قائم بذاته.

الخاتمة

"إعادة تعريف وظيفة" الآخر .
تبين الدراسة أن نصوص بيترو ديلا فاله تعيد صياغة موقع الآخر الشرقي في المخيلة الأوروبية: فهو لا يُقدّم باعتباره موضوعاً مستقلاً للمعرفة، بل كوسيلة لعكس صورة الذات الأوروبية وتأكيد خصوصيتها الحضارية. بذلك "يتحول الشرق من "ميدان للتعرف" إلى "أداة لإثبات الهوية".
تشكل الهوية الأوروبية عبر ثنائية التوتر .
أوضحت التحليلات أن الهوية الأوروبية في القرن السابع عشر لم تتبلور في فراغ، وإنما من خلال حركة جدلية مستمرة بين مشاعر متناقضة: الفضول المعرفي والانجذاب الجمالي من جهة، والخوف من التهديد والانحطاط من جهة أخرى. هذه الجدلية لم تكن عرضية، بل بنيوية في خطاب الرحلة.
توازن استراتيجي بين الانبهار والانتقاص .
تكشف نصوص ديلا فاله عن استراتيجية سردية دقيقة: فهي تتيح للرحالة أن يُبدي إعجابه بالتقاليد الشرقية أو مظاهر العمران والفنون، لكنه سرعان ما يلجأ إلى الانتقاص والتقليل حين يبدو أن هذا الإعجاب قد يهدد مركزية الذات الأوروبية. هذه الموازنة تحفظ للهوية الأوروبية موقع التفوق الرمزي.
أدب الرحلة كأداة لهيمنة رمزية .
أظهرت النتائج أن نصوص الرحلة لم تكن مجرد انعكاس لتجربة شخصية، بل ممارسة ثقافية تندرج ضمن مشروع أوسع للهيمنة المعرفية. عبر آليات الوصف، التصنيف، والمقارنة، استطاع ديلا فاله أن يرسخ خطاباً يضع أوروبا في مركز المشهد ويُحيل الآخر إلى الهامش.
إسهام النصوص في الخطاب الكولونيالي المبكر .
على الرغم من أن القرن السابع عشر يسبق المرحلة الاستعمارية الكلاسيكية، إلا أن نصوص ديلا فاله ساهمت في إرساء الأسس الرمزية والثقافية لهيمنة لاحقة. فقد أسهمت في تشكيل تصورات نمطية عن "الشرق" كوحدة متجانسة وغريبة، مما مهّد الطريق لاستخدام هذه التصورات في سياقات سياسية واقتصادية لاحقة.
أدب الرحلة بوصفه مرآة للذات الأوروبية .
الخلاصة النهائية أن نصوص بيترو ديلا فاله، شأنها شأن نصوص رحالة معاصرين له، تكشف عن أن أدب الرحلة الأوروبي ليس مجرد وصف للآخر، بل ممارسة سردية تعكس قلق الذات الأوروبية، وتعمل على إعادة إنتاج هوية متماسكة في مواجهة الاختلاف.

الهوامش

1. Daniel-Henri Pageaux, La Littérature Générale et Comparée, Armand Colin, 1994, p. 33.

2. Bahman Namvar Motlaq, "An Introduction to Imagology," *Comparative Literature Studies*, vol. 3, no. 12 (2009), p. 121.
3. Pageaux, p. 54.
4. Jean-Marc Moura, *L'Europe Littéraire et l'Ailleurs*, PUF, 1998, p. 67.
5. Moura, p. 70.
6. Maria João Simões, "Literary Imagotypes," University of Coimbra, 2001, p. 25.
7. Rossi, Ettore, "Pietro Della Valle Orientalista Romano (1586–1652)," *Oriente Moderno*, 1953, p. 52.
8. Moura, p. 73.
9. Carla Masetti, *Città varie e costumi...*, FrancoAngeli, 2017, p. 88.
10. Foroughi, Hassan, "The Influence of the French Travelogues About Iran...," *Research in Contemporary World Literature*, vol. 7, no. 13 (2002), p. 55.
11. Della Valle, Pietro, *Travels in Persia*, trans. Shoaeddin Shafa, Elmi Farhangi, 1969, p. 142.
15. Duffy, Brian, *Morality, Identity and Narrative in the Fiction of Richard Ford*, Rodopi, 2008, p. 44.
16. Simões, p. 30.
17. Torabi, Donimik Carnox & Monireh Akbarpouran, "Identity/Otherness Duality," *Critical Language and Literary Studies*, vol. 13, no. 17 (2017), p. 90.

المصادر والمراجع

1. إحسان عباس، فن الرحلة في الأدب العربي. بيروت: دار الثقافة، 1980.
2. شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي. القاهرة: دار المعارف، 1960.
3. عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين. بيروت: دار العلم للملايين، 1993.
4. يحيى الجبوري، الرحلة في الأدب العربي. بغداد: دار الحرية، 1974.
5. عبد العزيز الأهواني، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980.
6. عبد الله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها. الخرطوم: دار جامعة الخرطوم، 1980.
7. إحسان النص، صورة الشرق في عيون الرحالة الأوروبيين. دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 2005.
8. محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن. القاهرة: دار نهضة مصر، 1953.
9. حسن حنفي، الاستغراب: في مقابل الاستشراق. القاهرة: دار التنوير، 1991.
10. علي شلق، صورة الآخر: دراسات في الأدب المقارن. بيروت: المركز الثقافي العربي، 2002.
11. Della Valle, Pietro. *Travels in Persia*. Translated by Shoaeddin Shafa. Iran: Elmi Farhangi, 1969.
12. Duffy, Brian. *Morality, Identity and Narrative in the Fiction of Richard Ford*. New York: Rodopi, 2008.
13. Foroughi, Hassan. "The Influence of the French Travelogues About Iran on the 18th Century Audience." *Research in Contemporary World Literature*, vol. 7, no. 13 (2002): 51–78.
14. Masetti, Carla. *Città varie e costumi il fin prescrive: La Persia di Pietro Della Valle (1617–1623)*. Milano: FrancoAngeli, 2017.



Czech

Journal of Multidisciplinary Innovations

**Volume 46, October
2025.**

ISSN (E): 2788-0389

Website: www.peerianjournal.com

Email: editor@peerianjournal.com

15. Moura, Jean-Marc. *L'Europe Littéraire et l'Ailleurs*. Paris: Presses Universitaires de France, 1998.
16. Namvar Motlaq, Bahman. "An Introduction to Imagology: Introducing a Literary and Artistic Criticism." *Comparative Literature Studies*, vol. 3, no. 12 (2009): 119–138.
17. Pageaux, Daniel-Henri. *La Littérature Générale et Comparée*. Paris: Armand Colin, 1994.
18. Rossi, Ettore. "Pietro Della Valle Orientalista Romano (1586–1652)." *Oriente Moderno*, no. 32 (1953): 49–64.
19. Simões, Maria João. "Literary Imagotypes: (De)configuration Processes in Literary Imagology." University of Coimbra, 2001.
20. Torabi, Donimik Carnox, and Monireh Akbarpouran. "Identity/Otherness Duality and Redefinition of the Epic Genre." *Critical Language and Literary Studies*, vol. 13, no. 17 (2017): 79–99.